

الهدى ووارث الكتاب والنبوة والمهين عليهما وخاتم النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين بعنه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً ثم هو بأعنه يوم القيامة مقاماً محموداً شرع الله به دينه وأتم به نوره على عبده ومحق به رؤوس الضلالة وجبايرة الكفر وخوله الشفاعة وجعله في الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم

الصنائع الإسلامية

نشرت مجلة العالم الإسلامي الفرنسية فصلاً مهماً للمسيو كلجان هوار من علماء المشرقيات في الأدوار التي تقلبت على الصنائع الإسلامية قال : أصدر كل من المسيو سالادين والمسيو ميغون مختصراً في الصنائع الإسلامية وقع في مجلدين شخّص أحدهما في الهندسة الإسلامية والآخر في فن التصوير والنقش . ولقد ألفت انظار الناس معرض الصنائع الإسلامية الذي أقيم في قسم مرسات سنة ١٩٠٣ والمعرض الذي وافق وقته زمن انعقاد مؤتمر المستشرقين الدولي في الجزائر سنة ١٩٠٥ لاعتلاق الصنائع الإسلامية التي كانت حتى الآن مرهودة فيها العلم الا عند بعض غلاة في جمعها ممن حصلوا على مجاميع بدیعة منها . ففي البحث في هذا الموضوع نتجلى لنا القرون الوسطى في الشرق ونحيا امامنا على مثل ما كانت عليه . وما من احد يصدق اليوم بانّ العاديات القديمة تستحق إعجاب ارباب الصنائع والمولعين في اقتنائها فقط بل ان ارتقاء فن الآثار ارتقاء خارقاً للعادة فضل الاكتشافات المدهشة في السنين الاخيرة والبحث في آثار القرون الوسطى اليونانية والفرسية قد وجه انظار الشاعرين فن الواجب من ثم ان يجعل حظ عظيم من البحث للقرون الوسطى الإسلامية لانها من اجمل الادوار التي يتأق للانسانية ان تفخر بها وكانت مراكز الحضارة التي انشأتها قديماً تلك المدنية في آسيا حلقة ضرورية لنا تربط اوروبا بالشرق بل تقرب بين القرون الحديثة والقرون القديمة وتصل عمران البحر المتوسط بتحدن آسيا العليا .

ان درس المصانع المصورة اليوم هو من المئات الضرورية للتاريخ كما كانت الجغرافية ولا تزال كذلك . فدرسها نافع للنظر في الآثار القديمة التي عرفناها منذ القدم كما هو الرم للوقوف على حال القرون الوسطى التي شرع بالبحث فيها منذ حين ولا سيما فيما له علاقة بالشرق كما هو موضوع الابحاث الاخيرة . وقبل ان يبدأ بها لم يكن يعرف عنها شيء . وقد جعل المؤلفان التبيينان المشار اليهما من التصوير الشمسي اكبر مساعد لهما في كتابتهما الوجيز

جاء الأول من نوعه وكانت من هذين المجلدين مجموعة تصاویر اذا فتحها المرء نثنت لعينيه مصانع الشرق وشؤون عيانتا ان لم يكن رآها من قبل ويتذكرها باعيانها اذا كان أتيح له ان متع نظره فيها ذات يوم . سهلت اسباب التنقل واصبحت قربة المثال فغدت الاستانة والقاهرة والهند غير بعيدة المزار كما كانت وربما نددت كذلك طهران واصفهان عما غريب ولذلك جاء الزمن الذي تعرض فيه على الجمهور في صورة كتاب مجموع الاطراف زبدقما يعرف عن ارتقاء الصنائع وترتيب المصانع الاسلامية .

لم يأت الاسلام في مبدل ظهوره وشعثته الأولى محصور في حدود شبه جزيرة العرب ولم ينتشر بعد في البلاد المجاورة ان ينشأ شيء من الصنائع في تلك الاصقاع المقفرة التي تطوقها العرب الرحالة على قلة مدنها وبلدانها ويقضي فيها التجار عيشة بيطة خالية عن أبهة الحضارة . وكان المعبد العظيم في الحجاز عبارة عن مكعب من الصخر خال من الزينة وقد بقي زمنا طويلا بدون سقف ثم غطي بسقف من الخشب على يد عامل من القبط نجما من سفينة يونانية عرفت فالفقه الاقدار في بلاد العرب وجذبت مكة اليها لاحوال غير معلومة . وكانت القوافل عند عودتها من سورية وقد مرحت الطرف في المصانع العظيمة فيها على العهد الامبراطوري لقص احاديث عجيبة مما رأت فأثرت نفوس الشعب تلك القصص وكان منها ان انشوا في صحاري شمالي بلاد اليمن جنات النعيم وهي ارم ذات العباد الغريبة وقد بنيت في غالب الظن على مثال دمشق وتدمر وبلبك . وكانت العرب الرحالة ترى ان القبور التي نحتها في الصخر في مدائن صالح جماعة من المستعمرين الآراميين في صميم بلاد العرب انها بيوت التودين وذكرها محمد (عليه السلام) بان الغضب الالهي نالها لانها انكرت ان ناقة صالح غير مقدسة . وكانت المصانع التي خلفتها الشعوب القديمة البائدة تنسب الى عاد من بادوا فلم يبقوا من الآثار غير ما خلفوه من اعمالهم التي حيرت عقول البدو اما الآن فلينثقل القاري الفاتحين من العرب بجولون في اكناف سورية ومصر وفارس وافريقية الشمالية واسبانيا وكها بلاد متحضرة مملوءة ببذائع الصنائع واعمال الهندسة . ولكن كان العربي الرحالة يندمش عند ما كان يقع نظره على بيوت ذات ثلاث طبقات في مكة ويثرب فنترا . ي له انها قلاع وهو لا عهد له من قبل الانبيته السوداء والذكاء المصنوعة من وبر العنز . ويعد ان كان المسجد البسيط الذي بسع النبي واصحابه وهو عبارة عن كوخ خال من الزخرف مبني باللبن وجذوع النخل ليس فيه ساف من الحصا على التراب المرصوص ظهير للعالم بانه غير كاف لاستيعاب جمهور من داتوا بالاسلام وغير لائق (١) بان يكون

(١) نحن نترجم بالحرف ونترك البحث في بعض تعليقات الكاتب لارباب النظر

بيت الواحد الاحد . وزد على ذلك فان الفاتحين من المسلمين كانوا يشاهدون الكنائس الجميلة التي انشأها المتقون من النصارى ويقابلون بين التأتقي فيها وبين شقاتهم في سكنى البادية . اكنفى الخلفاء الاول بان سكنوا بيوتهم التي يآوون اليها كما فعل امبراطرة رومية الاول لان المسجد كان لهم ميداناً وصحكة وندوة . ولما صار الامر الى معاوية طمحت بهم نفوسهم الى اتخاذ القصور بممدون اليها ليستروا فيها غفلتهم وبذخهم وزهوم . فبالهندسة بدأ نمو الصنائع التي دعا اليها الفتح الاسلامي وما كان للعرب صنائع خاصة بل استخدموا باديء بدء من المهندسين وارباب الصنائع من وجدوم في البلاد التي افتتحوها فكان اسلوب البناء الاسلامي في اول الامر سورياً في سورية وقبطياً في مصر وبيزنطياً في آسيا الصغرى ورومانياً ببربريا في افرقية ورومانياً ايبيريا في اسبانيا وبارتيا (١) وساسانياً في فارس وبين النهرين .

رأينا صوراً من الهندسة الآسيوية لنقل الى البلاد المغلوبة على امرها عند ما كان الشرق اولاً ميداناً للفاتحين . وانك لتشاهد في اقدم المصانع المنقوشة الزينة في المغرب والمسجد الاعظم في قرطبة ومسجد سيدي عقبة في القيروان مشعة من الزينة الشرقية تقلها اليها صنائع صحبوا الفاتحين او تسجت على مثال صور الاقشة والزوايا المطرزة والبسط الجلوبة من الشرق .

ومن مميزات الهندسة الاسلامية القبة ذات الشكل البيضوي وهي منقولة بلامراء عن اصل جاء من بين التهرين اي اشوري بابلي . وقد بقي منها نموذج سالم من الصور البارزة في قيونيق (٣) زمن الدولة الساسانية كما هو المشاهد من صورة افواس المدائن وساروستان وفيروزآباد فبين بهذا ان ماضي الهندسة الاسلامية كان عظيماً والتخمد الاسلامي جدد استعمالها . وانا لتجد منارات جوامع سامرا وابن طولون في القاهرة ابراجاً ذات ادراج على شكل حلزوني وبعيدان لا نعرف فيما رأينا بانها بقايا من معابد رصدا الافلاك الكلدانية التي نجد برج بابل مثلاً مشهوراً منها .

رأت العرب في سورية ومصر الصناعة البيزنطية ودرسوها عن أم وما هي الا تشويه

- (١) البارتيون هم سكان انالي آسيا الواقعة بين الفرات غرباً وبحر الخزر شمالاً ونهر جيحون شرقاً وبحر الهند جنوباً واهم مدنتهم الدامغان « هيكتومبيلوس » والمدائن « كتيذيفون »
 (٢) قرية وتلال واقعة على الشاطئ الشمالي من دجلة قبالة الموصل وهي في البقعة التي كانت فيها نينوى وقد اغتنت متاحف اوربا واميركا بما أخرج من آثارها وتمثيلها وتقوسها والواحها الخزفية وهي صادرة عن ملوك اشور

آسيابوي للصناعة الرومية الرومانية ام آثارها جامع اياصوفيا في الاستانة . وبقيت الصناعة اليونانية آخذة بالتبدل بعد فتوحات الاسكندر وظلت كذلك الى ان خطر للملك قسطنطين ان ينقل عاصمة المملكة الى ضفاف البوسفور ولا يخفى ما حدث من السرعة في تازج العنصر اليوناني بالعناصر اللاتينية واللغة اللاتينية . فالنقايد العسكرية والقضائية والادارية فقط بقيت زمنًا قصيرًا بحالها اما الصلات المتصلة التي كانت لمملكة الروم « بيزانس » مع المملكة الفارسية فقد كان منها ان بدلت الصنائع بتأثيرات آسيابوية ونقدت فيها تقدمًا هائلًا حتى ان الالبسة وزين الابنية الداخلي وقصور الامبراطرة وادوات نعمهم وبذخهم كلها لم يكن فيها شيء يشير الى انه روماني .

سمت عدة مصانع ومعاهد من اوائل الهندسة الاسلامية واعجبها المسجد الاقصى في القدس وان شئت فقل قبة الصخرة اذا اردت ان تسميها باسمها الحقيقي . وليس هذا المسجد في الواقع . اعمًا لان هذا النوع من الابنية معروف بما يماثله مثل مسجد عمرو بن العاص في القاهرة الذي انشي سنة ٦٤٢ م وهو عبارة عن حائط له عدة محاريب لضبط سمت القبلة التي توجه اليها الوجه للصلاة . وكانت القبلة الى القدس اولًا فاصبحت منذ الف وثلثمائة وخمسة وعشرين عامًا الى مكة ثم هناك صفوف من الاعمدة ومكان مربع مكشوف وفي وسطه صريح ماء للوضوء . وعلى العكس في قبة الصخرة كما يستفاد من اسمها على ما هو المعروف فانها تشغل فسحة المعبد . وهذا الشكل وطني جعل على رسم كنيسة العذراء في انطاكية في شكل بيت مدور ذي قباب وعنده المسعودي المؤرخ من اعاجيب الدنيا . ويوجد من هذا الشكل ايضًا في اواسط سورية وحوارن وآسيا الصغرى وقد أنشي « هذا البناء على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي سنة ٦٨٧ ولما رُم بعضه الوليد سنة ٧٠٧ جعل من خارجه الفيسفساء » صنعها له صناع يونان بعث بهم اليه امبراطور القسطنطينية . وعلى عهد السلطان سليمان القانوني استعير عن احجار الفيسفساء بكاشاني محلي بالمينا . فالقبة والحالة هذه هي صوان او ونا . مقدس للصخرة والمسجد الحقيقي هو الذي يشرف على حوائط المكان في الجنوب ويدعى بالمسجد الاقصى وقد اشير اليه في القرآن والمراد به معبد سليمان .

بنيت المساجد في المغرب على مثال جامع عمرو . لجامع الزيتونة في تونس المؤسس سنة ٧٢٢ مؤلف من افنية موازية لحائط المحراب وفناء (صحن) اوسط كبير وصفوف من العمدة مؤلفة من مواد قديمة او بيزنطية جاءت من قرطاجنة الرومانية . وانشي « المسجد الاعظم في قرطبة سنة ٧٨٥ على ذاك المثال ولكن زينته تختلف عن غيره من المساجد اختلافًا كليًا

فان القطع العديدة التي بقيت من آثار الغوط الغربيين واستخدمت في البناء تدلنا على ان المصانع المسيحية في اسبانيا قبل القرن الثامن كان لها اثر كبير في انشاء الهندسة العربية الاصلية . والبحث في الهندسة الفارسية نافع على وجه خاص وذلك لانها حفظت لنا تقاليد قديمة لها علاقة بالهندسة فاحسنت الانتفاع بها ورقتها واكملتها . فان بناء القباب كانت الطريقة التي اختبرت من بين اساليب البناء لقلة الخشب الذي يصلح للبناء في معظم اقطار تلك البلاد .

وبلغ من حذق الفرس الغريب انهم يمثّلون لعينيك اذا نظرت الى ابنتهم كأنهم يلعبون بالمصاب لعباً . ولم تبلغ امة من الامم مبلغهم في ايجاد طرق متنوعة غريبة في القباب على اشكال غير متناسقة الا فرنسا فانها قلدهم في القرون الوسطى . والى الفرس يرجع الفضل في اختراع المقرنصات وهي من الصناعات الغريبة ذات النقوش التي تستر البناء البارز المشبك . واكثر ما فاقته فارس فننها في تزيين الابنية بالكاشاني (القشاني) وهونقش رائع الا انه سريع العطب تبشّج به العيون ما دام الملاط (المونة) الذي يلمصه بالبناء الاصيلي على حاله متناسكاً فاذا قلّع لقلة العناية به وسقط ولثاثر من آفات اصابته ودفن في الارض نبت العيون عنه واستوحشت من النظر اليه .

وصناعة الكاشاني قديمة جداً في البلاد الايرانية فقد زين ملوك الاخمينيين قصورهم بنقوشها البديعة التي جعل بعضها في قنات مخفّ التوفر المظلمة ولا يزال يأسف على الهواء المضيء والشمس المشرقة في سهول فارس . وبدأ استعمال الكاشاني في فارس بعد ظهور الاسلام فيها فجعل القرميد اولاً يحلى بالبيتا في اطراف الاحجار مفصّلاً من داخله بأجر او بلاط من الجبر والرخام ثم استعملوا نوعاً من البناء ملوناً ملوّناً من قطع صغيرة مجزأة موضوعاً بعضها بجانب بعض . كما فعلوا في ابنية الرخام او الخشب في ايطاليا توصلاً الى تزيينها بصفايح من الكاشاني على سطوح متسعة وقد شوهدت منذ القديم عندهم بنايات بارزة داخلها ازرق كالقيروز او ابيض كالعاج وبكثر انعكاس الاشعة التي تلعب فيها كعكاس السيوف كما تشهد في «امام زاده محيى» في ورامين (١) وهو من القرن الثالث عشر . وابنية اصفهان التي انشئت على عهد الشاه عباس الاول اجمل مثال من هذه النقوش العجيبة ولتمة ارتفاع طويل في الصناعة . ويتيسر تتبع ادوار هذه الصناعة اذا بحث في مصانع السجوقيين في فونية التي أنشئت في القرن الثالث عشر وفي البنابيتين اللتين أنشئتا على الطرز الفارسي في مدينة بورصة وفي المسجد الاخير وقبر محمد الاول اللذين أسسا في القرن الخامس عشر .

(١) بلدة من نواحي الري قرب زامين

بنيت جميع المساجد التي أنشأها سلاطين بني عثمان على مثال كنيسة اياصوفيا . وقد كثر البناء على هذا الشكل في جميع المساجد التي أسست في المملكة العثمانية بعد القرن السادس عشر فالصورة الأصلية من هذا البناء هي إذاً بيزنطية ولكن الأسلوب الفارسي يظهر في بعض أنواع الزينة كالآيوان والكوى المقرنصة مثلاً . ومسجد بايزيد أقدم أسلوب من هذا النوع عمره المهندس خير الدين . ومسجد محمد الثاني الغازي أنشأه خريستودولومحل كنيسة الحوار بين وخرب كله بزلزال سنة ١٧٦٣ ثم أعيد أنشاؤه على عهد السلاطان مصطفى الثالث إلا أنه لم يرجع إلى ما كان عليه من أسلوب البناء .

واقدم المصانع الإسلامية في الهند مسجداً دهلي واحبر اللذان أنشأا في القرن الثالث عشر . وهما من المصانع التي قامت على أسلوب جينا Djaina (١) كما أثبت ذلك الرحالة فرغوسن والرمع العام منه هندي ثم أثرت فيه الأساليب الإيرانية والغربية وظهرت فيه النقوش المشجرة وهي تذكر بقصر ماشيتا (٢) وهوساساني أو ببعض محال من اياصوفيا .

وقد كان أول سلطان ابيجاور (كذا) ابن السلطان العثماني مراد الثاني الذي ارتقى من رتبة ضابط في الحرس إلى عرش الملك فأنشأ له دولة وبني حفيد حفيده عادل شاه اجمل مصانع تلك المدينة . وطرز بنائها مأخوذ من أسلوب غربي حتى لقد ذهب الرحالة فرغوسن عندما ذكر أصل هذه الدولة وكيفية نشأتها إلى أنها اختارت من الصنائع فرساً واتراكاً . ودخل التمدن الإيراني والصناعة الفارسية إلى الهند على عهد فتح باير (ظاهر الدين محمد من أحفاد تیمورلنك) وتأسس مملكة المغول العظمى . وعلى عهد السلطان أكبر انتشر الأسلوب الهندي في البناء فظهر بظهور بدیع مع المحافظة على أشكاله الغربية وعرف كيف يمزج في المصانع التي لها صورة خاصة الظرف والهجمة عن الفرس ويقصمها إلى متانة الأسلوب الجيني والافغاني . فقد قال مؤرخ فنون البناء الهندية (فرغوسن) أهم كانوا ينون كالجبابرة وينقشون كالصياغ . ولا يفوتنا النظر هنا بأن استعمال الكاشاني على طريقة عامة لم يبق له أثر في تلك البلاد بل أخذت الهند تبني بالحجارة والرخام وهو أدل على البراعة في الصناعة وأمن والغم . أما النقش الفارسي على جماله فقليل البقاء وبالألف أشبه بزينة مسرح التمثيل تزول إذا صفر لها من عهدهت إليه إدارة حركة التمثيل ليحعل غيرها مكانها . ولا يعلم لأي أمة ينسب مهندس بناء تاج محل في آكرا (الهند) ولكن المعلوم أن السلطان محمد الرابع بعث إلى شاه جنان مهندساً يبني له في أحمد آباد قبة نور محل ولا ينبغي

(١) الجينا أحد مذاهب الهندو يبلغ أهله نحو مليون نسمة وهم معروفون بعزة ثلوسهم وامانتهم وأعلمهم هم المقصودون هنا (٢) ينسب الملك خسرو

العجب اذا رأينا من بعد هذا العصر الاشكال الفارسية مطبقة على البناء من الرخام في حجم كبير . ويقال أيضاً ان رجلاً فرنسويًا من بورديو اسمه اوستين او اوغوستين الذي لقب نادر العصر قد عهد اليه النظر في اعمال توصيع الحجارة النكرية التي ازدان بها تاج محل من داخله وخارجه . ولذلك كان الحق مع المسيو سلادين في قوله بأنه يظهر بان يد مهندس اوروبي قد رسمت الصور الواضحة ورسوم جانب البناء الكثيرة التدقيق في هذا المصنع ولعل هناك اثرًا من التأثير العربي .

اما في الصين فان هندسة الجوامع صينية محضة ولم تقبس شيئًا عن البلاد التي يتكلم اهلها بالعربية ولا عن فارس ولا الهند .

لم يكن النقش اذا قيس بالهندسة شأن ظاهر . ولا يسعنا هنا ان نبحث في استعماله للتزويق فان ما لدينا منه قليل لا يعتد به وقد ازدادت حوائط قصير عمرا بالنقوش ولكنها بيزنطية . وكان ملوك الفاطميين يزفون قصورهم في القاهرة بصور ذات ارواح كما قال المقرئ . وجلب اليازوري وزير المستنصر بالله الى مصر ابن عبد العزيز والقصير وهما نقاشان مشهوران الاول من البصرة والثاني من العراق فكنا يمثلا بما ينقشان نساء برقص ومشاهد مأخوذة من التواريخ المنقولة عن التوراة على نحو ما اوردها القرآن ولكن لم يبق شيء مما نقشاه . وما على من اراد ان يثقل كيف كان النقش عند العرب الا ان ينظر الى نقش المخطوطات ولا سيما الصور المصغرة التي تستعمل فيها رسوم الاشخاص والحيوانات دليلاً . ويرتقي عهد اقدم المخطوطات العربية من هذا النوع الى صلاح الدين وبعبارة ثانية الى الدولة الايوبية وهي من اصل بيزنطي على ما يتجلى منها كل التجلي . ومن اهم الامثلة في هذا الباب كتاب مقامات الحريري المخطوط وهو مما ملكه شفر (العالم الفرنسي) وألحق بجوامع خزانة كتب الامة بباريز كتب كاتبه اسمه في آخر ورقة منه واسمه يحيى بن محمود بن يحيى بن ابي الحسن نشأ في واسط من بلاد بين النهرين . ومما حواه صفحة تمثل جيشاً للعباسيين يحملون العلم الاسود ويضربون بابواق ضخمة فارسية كما رسمت فيه ايضاً مشاهد من غير هذا الشكل وتجدها فيها كلها اثرًا ظاهرًا من تأثيرات الرسم البيزنطي وذلك للتوسع في صنعها الذي يشبه رسوم الحيطان على الكنائس الكبرى .

ان ما كتب في مصر من المصاحف هو من الصنائع البديعة فتراها محلاة بالعناوين المزوقة والنقوش المدورة الموضوعية في الحواشي من اجل ما تخط يد وهي من زمن المماليك . ولا يعرف المرء بماذا يعجب في صناعة مزج الذهب بالالوان بدقة الرسم ولطفه او بالدق العظيم الذي اوجد الوقف من التراكيب المزينة الهندسية . وقد انتشر الرسم المصغر في فارس

أكثر من غيرها فظهرت الكتب المزينة بالرسوم بظهور دولة المغول التي أسسها هولاكو حفيد جنكيزخان . وربما كانت هذا النقش قد ظهر بتأثير الصنائع الصينية (لانه كانت للساسانيين كتب مزينة بصور لم يذكر عنها كتاب مجمل التواريخ غير اخبار ركيكة) اما الاكتشافات الحديثة في خوقند التي لم يطلع عليها المؤلفان المشار اليهما (ظهر مصنف المسيو ستين حديثاً) فقد اوردت لنا امثلة من الصناعة البوذية والفارسية معاً . ويجب ان يبحث فيها عن الاصل الذي اخذت منه فارس طريقتها في النقش وعلى هذا فتكون تركستان الصينية هي الطريق التي دخل منها الى ايران تأثير آسيا الشرقية .

ومما يكن من متشابهها فمن المحتمل ان فارس نقلت طريقة التصوير المصغر عن مملكة اليلخان . وبذلك ساعد لنا ان نجعل الرسم ثلاث طرق او ثلاثة مذاهب وهي المغولي والتيغوري والصفوي . ومن الجنس الاول الصورة المصغرة الوحيدة التي رسمت في تاريخ جهان خوشاي لعلاء الدين الجويني (المحفوظة في مكتبة الامة بباريز) وهي تمثل المؤلف بقدم نسخة من كتابه الى آراغون . وقد تجلى تأثير الصين كل التجلي بعد عهد تيغور بحيث ان النفس تحدث المرء اذا نظر الى رسوم ذلك الدور فيما اذا كان هناك اناس من ارباب الصنائع من الترس تخرجوا على ايدي اناس من الصينيين او ان هؤلاء « النقاشين هم صينيون في الالهة لحي » بهم الى فارس فرسموا ما رسموا

بين العصر الماضي وهذا العصر يون بعيد لانه دور التوسع الصناعي الموافق للعهد الذي كانت فيه بلاد الفرس وتركستان خاصة بيدائع المصانع . ولقد غصت بخارا وخيوه وطاشقند بالصنائع الذين ازدانت بمصنوعاتهم دور الكتب في اوربا . ثم ان عصر الصفوية السعيد قد ازهرت فيه صناعة بدیعة غريبة تعلم اربابها في سمرقند وبخارا وما انتقلت الى الهند مع سلاطين المغول هايون واكبر وجهانكبير واورنك زيب انشأت فيها بدائع في الرسم والنقش بأسلوب يتنافس الناس في اوربا في الحصول عليه . وما هذه الرسوم الا مستندات ثينة لا تقدر بقيمة سواها كان من حيث التاريخ او للوقوف على الاحوال الاجتماعية في الهند في القرن السابع عشر والثامن عشر . والصناعة الصفوية لينة سهلة تجلى فيها العواطف الرقيقة ذات بهجة فائنة . واشتهرت النقوش التي كتبت بقلم الرصاص بوضوح التقاطيع وثبات الشكل والصورة

وانتقل النقش على عهد الشاه عباس الاول الذي كان يحب الالهة وهو على شيء من الافكار العالية والمدارك الواسعة من الكتب المخطوطة الى حوائط القصور في اصفهان وما زال من هذه النقوش بقايا في قصر علي قيو وقصر الاربعين عموداً . وقد كان

السائح الروماني « ييترو دلافال » استعجب معه نقاشاً في رحلته الى بلاد فارس فمن الممكن ان يكون الشاء اخذ رأي هذا النقاش وباحثه في الرسوم الكبرى التي اعتاد العليان رسمها على الجدران فنيه فكره الى ان يزوق قصوره على مثالمه . ولكن هذا من القياس الفرضي وكان على ييترو وقد اطال في رحلته بوصف ما عمل ورأى ان لا يقصر في ذكر ذلك . على ان كثيراً من النقوش الفارسية تشعر بتأثيرات النقش الايطالي .

وكثيراً ما تكون جلود الكتب غاية في الجمال ومن الخسارة ان مؤلفي كتاب الوجيز المشار اليهما لم يدخلوا في تفصيل ذلك . ولقد شاهدت في الاستانة بعض المولعين بالآثار يأخذون الجلود القديمة كافة ليجعلوها في المتاحف مثلاً من امثلة الخدق في الصنائع . والجلود المصنعة عند القرس غاية في الجمال ويتألف من بعضها جداول حقيقية .

(الباقي لآتي)

اللغة والدخيل

في مصر اليوم حركة فكرية مدارها الانثار فيما وصلت اليه اللغة العربية في هذا العهد من العجز والتقصير . والنظر فيما ينشطها من عقلاها ويخرج بها من هذا المأزق الحرج بعد ما استحدثت من المخترعات والمكتشفات والمصطلحات العلمية ما خاق عطنها عن قبوله . فكتب الكتابون في ذلك ما كتبوا وذهب كل مذهبه وابان عن رأيه حتى اوشكت هذه الفكرة ان تتعدى حد القول فيؤذن مؤذن الفلاح بجي على خير العمل . ولنا في النهضة الكريمة التي قام بها رجال نادي دار العلوم خير شاهد على ما نقول .

وقد كنت ممن خاض هذا الغمار واجال القلم في هذا المضمار فنشرت في صحيفة المؤيد عشرين كلمة من العامي والدخيل اردفتها بما يرادفها من العربي الفصحى وقصدت بذلك عرضها للنقد والتحقيق حتى يتبين الصحيح من الزائف اذ لا ينبغي للفرد الواحد ان يتبدل بهذا هذا العمل . ثم عن لي ان انضم اليها عشرة اخرى وانشرها في المقتبس الاغر ليطلع عليها افاض العلماء والكتاب في الانحاء العربية فيمدونا بأرائهم فيها خدمة لهذه اللغة الشريفة وهي :

(ملة القلم) المدة بضم اوله وهي ما يملأ بالقلم من المداد بعد غمسه في الدواة .

(بوية الجزم او طلاء الاحذية) البرندج او الارندج نفختين وهو السواد يسوده الخف